شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

كتاب في ذكر بحر النيل وما يتعلق به

المؤلف

شهاب الدين أحمد بن عماد الدين الشافعي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عدد أوراق ٢٤

كتاب في ذكر النيل وما يتعلق
به تأليف الإمام العالم العلامه
الرحلة الفهامه شهاب الملة
والدين احمد بن العماد الشافعي
تغمده الله تعالى برحمته
واسكنه فسيح جنته
ونفعنا ببركته
بمنه وكرمه
انه على ذلك
قدير
امين

٢٠٧ مصر ٤٨٨١٥ مخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده **واشهد** ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجب العافية المجيده **واشهد** ان محمدا عبده ورسوله ارسله الى الامة الشهيده والى سايرالفرق القريبه والبعيده فبلغ الرسالة وادى الامانه ودعا الى الله عبيده ونساله الله من فضله ان يجعلنا من الامة السعيده ولا يجعلنا من الفرق البعيده **وبعد** فقد روى عن جدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربعة لا تشبع من اربع عين من نظر وانتي من ذكر وارض من مطر وعالم من خير **ولما** كان اقليم مصر مشتملا على فوايد عجيبه وامور غريبه استخرت الله تعالى في ان اجمع فيها من نفيس الغرايب ما لا ينبغي لذوي العلم اهمالها لهما ولا سيما من كان مصر الا معرفتها واتقانها وكيف وكلهم او اكثرهم لو سيل عن نهر النيل من اين يخرج من الارض وفي اي مكان يذهب ولو سيل عن طوله وعن سبب تكدره وخضرته في وقت الزياده ومن اين تمده الزياده وفي اي مكان تذهب زيادته اذا انقص لما اجاب عن ذلك وانا ان شاء الله تعالى مبين لجميع ذلك قاصدا فيه الاختصار وقبل الشروع في ذكر الغرض لما يدل على فضيلة هذا النهر على غيره من انهار الدنيا وبيان ذلك في فصلين الاول في بيان فضله

وقد

وقد ورد فيه ايات واحاديث اما الايات فمنها قوله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنه **قال** البغوي في تفسير هذه الانهار الاربعه تخرج من نهر الكوثر قال كعب الاحبار اما نهر مصر فهو نهر حمر دجلة نهر ما اهل الجنه ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم ونقل ابن دولاف في تاريخ مصر عن كعب الاحبار ان نهر مصر نهر العسل في الجنه والفرات نهر الخمر وسيحان نهر الما وجيحان نهر اللبن **وفي** حديث الاسرا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم انتهيت الى سدرة المنتهى فرايت اربعة انهار تخرج من اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت يا جبريل ما هذه الانهار قال اما النهران الباطنان فنهران في الجنه واما الظاهران فالفرات والنيل قال النووي في شرح مسلم قال العلماء الباطنان هما السلسبيل والكوثر قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث يدل على ان اصل سدرة المنتهى في الارض لخروج النيل والفرات من اصلها ثم تغيرا حيث اراد الله حتى تخرج من الارض ويسير فيها وهذا لا يمنعه عقل ولا شرع وظاهر الحديث يوجب المصير اليه والله اعلم وما ذكره النووي هو الصواب فقد ذكر البغوي في سورة النجم ان سدرة المنتهى هي شجرة طوبى وذكر في سورة الرعد في قوله تعالى طوبى لهم انطوبى شجرة اصلها في بيت النبي صلى الله عليه وسلم واغصانها

الألوكة
www.alukah.net

بيت في الجنة الا وفيه غصن منها وقال ابن زولاق في تاريخ مصر
ان النيل يجري من تحت سدرة المنتهى وانه لو تقصى اثاره لوجد
في اول مجراه اوراق الجنة قال ولذلك يذب الى اكل البلطي
من السمك لانه يتتبع اوراق الجنة فيرعاها ويشهد لصحة ماذكر
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالحبرور فانه
يرعى من حشيش الجنة وذكر بعضهم ان سائر مياه الارض وانهارها
تخرج اصلها من تحت الصخرة بالارض المقدسة والعلم عند الله تعالى
فائدة طوبى وزنها فعلى مشتقة من الطيب واصلها طيبى وقعت في
الثاني بعد ضمه فقلبت واوا قال ابن جني حكى ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني
في كتابه الكبير في القراءات قال قرأ على اعرابي بالحرم طيبى لهم وحسن
مآب فقلت له طوبى فقال طيبى فاعدت عليه فقلت طوبى فقال
طيبى فقلت طوبا فقال طيبا فلما طال علي قلت طوطو فقال طيطى
ومن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى طسم ان الطاء سجرة طوبى
وان السين سدرة المنتهى وان الميم محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على
ان سجرة طوبى غير سدرة المنتهى والله اعلم قال سعيد بن جبير طوبى
اسم الجنة بالحبشية وكيت سجرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي اليها
ولا يعلم ما فوقها الا الله عز وجل وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر سدرة المنتهى
فقال يسير الراكب في ظلها ما بدا له عام لا يقطعها فيها فراش من ذهب

وفي رواية في ظل الغصن منها كان
والغصن نوع من القصب وفي
القرآن العظيم ذواتا افنان اي اغصان

كان ثمارها القلال قال مقاتل سجرة المنتهى تحمل الحلي والحلل
من جميع الالوان لوان ورقة وضعت منها لاضاءت لاهل الارض
وفي جامع الصحاح عن الليث قال سجرة المنتهى في السماء السابعة
لا يتجاوزها ولا نبي ولا ملك قد اظلت السماء والجنة ومنها قوله تعالى
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
اجاج وقوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات
وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا واصل المرج
الخلط يقال للرجل اذا اخلى الشيء حتى اختلط بغيره قد مرجه ومرج
البحرين خلى بينهما حتى اختلطا وامر مريج مختلط والعذب الحلو والفرات
اعذبه العذوبة والملح المالح والاجاج الملح الملوحة ويقال ملح
وهو الاشهر وبها جاء القرآن ومالح لغة قليلة قال الشاعر
بصرية تزوجت بصريا يطعمها المالح والمطريا
وقال آخر
ولو تغلت في البحور والبحر مالح لاصبح ما في البحر من تغلها عذبا
وسمع من العرب اما انا فلا اصيح بمالح اي لا انتفع به ولا اصلح
واصل البرزخ الحاجز بين الشيئين يمتنع من وصول احدهما الى
الاخر ومنه قوله تعالى ومن ورائهم برزخ اي حاجز يمنعهم من
الرجوع الى الدنيا والحاجز بين البحرين حاجز قدرة الله العذب
ينصب في الملح ولا يختلط احدهما بالاخر بل يشاهد كل منهما متميزا
عن الاخر مسافة طويلة ثم بعد ذلك يغوص بحر النيل في الملح ولا

الألوكة
www.alukah.net

تختلط به بل يجري تحته متميزا عنه كالزيت مع الماء ولهذا يظهر
لراكب البحر في بعض المواضع فيستقون منه للشرب وذلك في اماكن
معروفة وقوله تعالى وحجرا محجورا اي حراما محرما اي لا تختلط
بهذا بل هذا اي اصل الحجر المنع ومنه سمي العقل حجرا لانه يمنع
صاحبه من تعاطي القبائح وما لا يليق قال تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر
اي عقل ومنه قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا
يبغيان اي لا يغلب الملح على العذب فيفسد حلاوته ولا يبغي العذب على
الملح فيفسد مرارته ولقد احسن الشاعر في قوله
وبامر البحران يلتقيان لا يبغ على عذب مرور اجاج
وقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فاللؤلؤ ما عظم من
الجواهر والمرجان ما صغر قال الواحدي فان قيل كيف قال
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما لا يخرجان الا من احدهما وانما يخرج الملح
فالجواب من ثلاثة اوجه احدها قال الثعلبي ان الاصل يخرج من
احدهما ثم حذف المضاف وانفصل الضمير وانصل بمن فصار منهما قال
غيره ان البحرين لما صارا واحدا بالتقائهما صح عود الضمير عليهما وصح ان
يقال يخرج منهما وقال بعضهم بل الصدفة تعلو على وجه الماء مستفتحة
وقت المطر فاذا وقع فيها قطر الماء انطبقت وغاصت في البحر فما وقع
فيها قطر واحد تربت جوهرة كبيرة وتسمى عندهم الدر اليتيمة فان
عطبت مارت صدفا وما وقع فيه اكثر من قطرة تربى فيها بعدد
القطر

القطر من الجواهر وذلك اللآلي الصغار فعلى هذا كون الاسناد
اليهما حقيقة لان قطر المطر يكون كاللقاح للصدف وتربيته
في البحر ومنها قوله تعالى حكاية عن فرعون لعنه الله قال يا
قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي قال صاحب
الفتوح المراد بالانهار النيل قال وكان النيل على ايام فرعون
مقسوما على اثنى عشر جدولا وكانت ارض مصر كلها تروى في سنة
عشر ذراعا وكانت ارض مصر وبناؤها ملكا على حدة والنهر تجري تحتها من البحر وقوله تعالى وهذه الانهار تجري من تحتي
وقال تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون الاية وفي قوله تعالى
قد جعل ربك تحتك سريا اي امامك وبين يديك وقد قيل انها مثله
هنا والسري النهر الصغير واما الاحاديث فمنها ما سبق ومنها ما
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لنيل مصر خيراتها وبركتها
اسكن عليه خيرتي من عبادي فمن اراد ملكها بسوء كببته لمنخريه ومن رواياتهم اورده ابن
زولاق قال الكندي وروى عن عقبة بن مسلم يرفعه ان الله تبارك وتعالى
يقول يوم القيمة لساكن مصر العراسكنكم مصر وكنتم تشربون من مياهها
قال وسأل معاوية بن ابي سفيان كعبا فقال اسالك يا ابا اسحاق هل تجد
لنيل مصر ذكرا في كتاب الله عز وجل التورية فقال اي والذي فلق البحر
لموسى اني لاجد في كتاب الله يعني التورية ان الله يوحي اليه عند انتهاء ايه
ان الله يامرك ان تجري على كذا فاجر على اسم الله ثم يوحي اليه عند انتهاء ايه

الألوكة
www.alukah.net

انتهى

ان الله يامرك ان ترجع فارجع راشد يعني يوحى اليه عند
النقص والزياده قال المسعودي وليس في الدنيا نهر يسمى بحرا
ويما غير النيل لكثرة استعماله واشار الى قوله فالقيم في اليم قال
ابن عباس يريد النيل وذكرها جعله في تابوت والقيم في النيل فحمله
الموج الى دار فرعون فاخذه وربا صغيرا امر براد قال وليس في
الدنيا نهر يزيد بالترتيب وينقص بترتيب غير النيل قال الكندي
وروى ان الله تعالى خلق نيل مصر معادا لجميع انهار الدنيا وسائها
فجعل يستدير في الزياده تنقص كلها لمادته وذكر ابو قبل ان نيل
مصر في زيادته يعود كل مراوله الى اخره وهذا هو الذي يتكدر
لاذا لعيون اذا نبعت من الارض اختلطت بالطين فحال لونها
فتكدرت قال واجمع اهل العلم على انه ليس في الدنيا نهر الطول
هذا من النيل سير مسيرة شهر في الاسلام وشهرين في النوبه واربعة
اشهر في الخراب الى ان تخرج من جبل القمر خلف خط الاستوا
وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والصين غير نيل مصر وليس في
الدنيا نهر يزيد ويعذب فراشد ما يكون من الخرجين تنقص انهار الدنيا
وعيونها غير بحر النيل وكلما زاد الحر كان اوفر لزيادته وليس في الدنيا
نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ولا يجاس من خراج نهر من انهار
الدنيا ما يجاس من خراج النيل وليس في الدنيا نهر ينبت عليه القمح
اليوسفي غير النيل قال الكندي وروى ان الجماعات خراج مصر
لامير

المومنين هشام فخرج بنفسه فمسح ارض مصر التي تروى
بالنيل عامرها وخاربها فوجد فيها ثلثين الف الف فدان
قال ابن لهيعه كان لنيل مصر قطيعه على كورة مصر عشرون ومايته
الف رجل يهم المساحي والالة سبعون الفا للصعيد وسبعون
الفا لاسفل الارض لحفر الخليج واقامة الجسور والقناطر وسد
الترع وقلع القصبان والحلفا وكل نبت يضر بالارض وقال
محفوظ بن سليمان اذا تم الماسته عشر ذراعا فقد وافا خراج
مصر فان زاد الماء على ذلك ذراعا واحدا انقص مايه الف لما
يستحصر من البطوح وقال المسعودي يبتدي نيل مصر بالنقص
والزيادة بعد بؤونة وابيب ومسرى واذا كان الماء ابدا
زاد شهر توت كله فاذ انتهت الزياده الى اذراع ستة عشر فقيه
تمام الخراج الذي للسلطان وخصب الناس وفيه ظمارع للهائم
لعدم المرعى والكلا وانتم الزيادة العامه النافعه للبلاد كلها
سبعة عشر ذراعا وفي ذلك كفايتها وروى جميع ارضها واذا
زاد على السبعة عشر ذراعا وبلغت ثمانية عشر وافاضتها
استغنى من مصر الربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجوه
الاستحصار وغير ذلك واذا كانت الزيادة ثمانية عشر كانت
العاقبة في الغرافه حدوث وبا بمصر قال ومساحة الزراع الى
ان يبلغ اثنا عشر ذراعا ثمانية وعشرون اصبعا ومن اثنى عشر

الألوكة
www.alukah.net

ذراعا الى ما فوق ذلك فصير الذراع اربعة وعشرين اصبعا واقل
ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة اذرع وفي مثل تلك السنة
يكون الماء قليلا والاذرع التي يستسقى عليها بمصر ذراعان يسمى
منكر ونكير وهي ذراع ثلاثة عشر ذراعا وذراع اربعة عشر ذراعا
فاذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزاد نصف ذراع من الخمسة
عشر استسقى الناس بمصر وكان الضرر شاملا لكل البلاد الى
ان ياذن الله في زيادة الماء واذا دخل الماء في ستة عشر كان فيه
صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك لنقصان من خراج
السلطان قال وكانت معرفتها تروى مرسلة عشر ذراعا وكانت
فيما يذكر اكثر البلاد جفافا وذلك ان خلجانها كانت متصلة عافتي
النيل من اول الى اخره من دمياط الى رشيد وكان الماء اذا بلغ
في زيادته تسع اذرع دخل خليج المقس وخليج الفيوم وخليج
سردوس وكان الذي حفر خليج سردوس لفرعون لغم الله
هامان عدو الله واما خليج الفيوم وخليج المقس فان الذي
حفرهما يوسف بن يعقوب عليهما قال الكندي ولما اهدي
المقوقس صاحب مصر الى النبي صلى الله عليه وسلم بابا وكراعا واختين
من القبط ماريه واختها واهدى اليه عسلا وغير ذلك فقبل هديته
ونسري ماريه فاولدها ابراهيم واهدى لاختها لحسان بن ثابت
الانصاري

الانصاري فاولدها حسان ابنه عبد الرحمن بن حسان
وسال صلى الله عليه وسلم عن العسل الذي اهدي له من
اين هذا العسل فقيل له من قرية يقال لها بنها فقال اللهم
بارك في بنها وفي عسلها اتفقوا على ان عسل مصر اطيب
وماوها اطيب ولحمها اطيب وحبها اطيب وبهذا افضلت مصر
على الشام لان هذه الثلاثة هي عماد الحياة فحبها افضل من حب
الشام وكذلك لحمها وماوها وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
انه قال دعا نوح عليه السلام لمصر بن بيصر بن حام بن نوح وبه سميت
مصر ولما سير القبط فقال اللهم بارك فيهم وفي ذريته واسكنه
الارض المباركة التي هي ام البلاد وعن العباد التي نهرها
افضل انهار الدنيا وفي بعض التفاسير في قوله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي
باركنا حوله ان المراد بالمكان المذكور المبارك فيه هو المسجد
الاقصى بمصر ولكن الاية اعم من ذلك لان الله تعالى بارك لاهله
فيما حوله من معايشهم وانبائهم وبارك فيه بدفن الانبياء والصالحين
وغير ذلك وذكر الثعلبي في قصص الانبياء ان جميع مياه الارض
نبوع اصلها من تحت الصخرة وقال في قوله تعالى اذا خرجني
من السجن وجاء بكم من البدو ان البدو ارض الشام قال ابن
زولاق كان بمصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم

www.alukah.net

الخليل واسماعيل ويعقوب ويوسف بن يعقوب واثني عشر
سبطا من اولاد يعقوب عليه السلام وولد جماعة من الانبيا
موسي وهرون ويوشع بن نون ودانيال وارميا ولقمان
وعيسى بن مريم وولدته امه بالعناس المدينة المعروفة
وبها النخلة التي قال الله تعالى فيها وهزي اليك بجذع النخلة
تساقط عليك رطبا جنيا **وكان عمر** من الصديقين مؤمن ال
فرعون والخضر ويقال والله اعلم انه ابن فرعون لصلبه من
موسي عليه السلام ولحق به وجعله الله تعالى نبيا وايه
وبمصر مواضع شريفه منها الوادي المقدس وبها الطور
وبها التي موسى عصاه وبها انفلق البحر لموسى وبها النخلة
التي امرت مريم بهزها وبها النخلة التي امرت مريم
بان تضع تحتها عيسى عليه السلام فلم يثمر غيرها وهي بالجزيره
وبها الجميزة التي صلى موسى عليه السلام تحتها بطرا **وقيل**
في قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما
الى ربوة ذات قرار ومعين ان المراد بالربوه البهنسه
قال ابو الحكم بن عفصل البهنسي في كتابه فضايل مصر
قال يحكى الصحيح ان الربوة التي اوى اليها المسيح وامه
مدينة البهنسا في موضع يعرف الان بمسجد الديوان اوى
به هو وامه سبع سنين قال واما الربوة التي بدمشق
فموضع

فموضع مبارك يزره مليح المنظر في سفح جبل وليست الربوة
التي ذكر الله عز وجل في كتابه لان عيسى عليه السلام ما دخل
دمشق ولا وطئ ارض الشام قبل الربوة التي هي بمصر وقيل
هي الرمله **قيل** والنخلة التي كانت تتضح له الرطب عديمه
اثمون مشهورة والنخلة التي اوت اليها امه بسدمنت
مشهورة مذكوره واقامت الحواريون بعد مدينة البهنسا
غير مذكوره وبركة عيسى عليه السلام ظاهرة ببير البلسم
التي بارض المطريه ودعونه لاهل البهنسا مشهوره **قال**
وفي نصر الانبيا والمرسلون واولوا العزم المكلمون وابنا
الاسباط من بني اسرايل وذو القرنين والاسكندر
والحكما البوناينون والفلاسفه المقدمون وذو الهيئة
والالة والمطلاسم والحركات والرصد والحمامات
والمساحات والخبر والمقابلات كهرمس وبقراط وجالينوس
وقيداغورش واليوس وغيرهم **قال** الكندي **قال** كعب
الاحبار من اراد ان ينظر الى شبه الجنه فلينظر الى مصر اذا
اخرجت واذا ازهرت واذا اطردت انهارها وفتحت
ثمارها وفاض خيرها وغنت طيورها قال وقال عبد الله
ابن عمر من اراد ان ينظر الى شبه الفردوس فلينظر الى ارض مصر
تخضر زروعها وتزهر بيعها وتكسى بالنوار اشجارها
وقال المسعودي في مروج الذهب وصف بعض الحكما مصر

الألوكة
www.alukah.net

فقال ثلاثة اشهر لولوة بيضا وثلاثة اشهر سمكة سودا
وثلاثة اشهر زمردة خضرا وثلاثة اشهر سمكة ذنب حمرا
فاما اللولوة البيضا فهي في شهر ايب وهي ثور وسرو وتوت
يركبها الما فتري الدنيا بيضا واما السمكة السودا فانها في شهر
بابه تنكشف الارض فتصير ارضا سودا وتقع فيها الزلعات
وللارض رايحة طيبة تشبه رايحة المسك واما الزمردة
الخضرا فانها في شهر طوبه وامشير وبرمهات تنبع الارض ويكثر
عشبها ونباتها فتصير الدنيا خضرا كالزمردة واما السمكة
الذهب الحمرا فانها في شهر برموده وبشنس وبونه يبيض الزرع
وينور ذا العنب فتشبه الذهب في المنظر قال ووصف اخر مصر
فقال فيها عجب وارضها ذنب وهي لمن غلب ملكها سلب
ومالها رغب وخيرها جلب وفي اهلها صحب وطاعتهم رهب
وسلمها سغب وحربهم حرب ونهرها النيل من سادات
الانهار واشرف الانهار لانه تخرج من الجنة على حسب ما ورد به
خبر الشريعه قال وفي نيل مصر اعاجيب كثيره من انواع
الحيوان منها التماح وهو السمسار فلا يوجد الا بنيل مصر
وهو ياكل ويبضه كالجراب ليس له مخرج بل يتغوط
من فيه ذكره ابن الجوزي قال فاذا اكل وبقي الطعام
بين اسنانه تربى فيه دود فياتي الى البحر البري فينام ويفتح
فاه

فاه فياتي طاير فيدخل فاه ويلتقط ذلك الدود فاذا
التمساح ان الدود قد فرغ طبق فمه على الطاير لياكله
وجعل الله تعالى لذلك الطاير ابرتين من العظم في ظهر في جناحيه
فاذا اطبق فمه عليه ضرب بهما في سقف حلقه ففتح فاه فيخرج
الطاير قال المسعودي وخلق الله تعالى دويبة بنيل مصر
تعادي التمساح تستخفي له في الرمل في موضع يرقد فيه ويفتح
فاه لذلك الطاير فاذا افتح فمه وثبت ودخلت فيه ثم دخلت
الى جوفه فاذا دخلت جوفه اضطرب ونزل البحر فاكل تلك
الدويبة احشاه وتخرق بطنه وفي ذلك هلاكه وفي كتاب
القزويني ان الذي يفعل ذلك بالتمساح هو كلب الما وذكر
المسعودي ان التمساح هو الورك وكذا قال الحموي في كتابه
التنويه فيما يرد على التنبيه وقال ان التمساح يبيض في البر
ويدفن بيضه في الرمل فاذا اخرج فرخه فما نزل البحر منه كان
تمساحا وما طلع البر واستمر فيه صار ورلا واذا صح ان الورل
فرخ التمساح اطرد فيه الوجهان في جواز اكل التمساح وبلده
الحكايه ذكر نظيرها عن ام طبق البحريه وهي اللجاه السماه
عند العامه بالترسه قال اللاحون انها تبيض في البر وتغطي
بيضها بالرمل وتنزل الى البحر فتعد له اياما وكذلك يعدها
التمساح لبيضه ثم تحفر عن البيض فيخرج الفرخ فما نعمها وتنزل
البحر صار لجاه وما بقي في البر صار سلحفاه والسلحفاه اكلها حرام

وكذلك الترس ونقل النووي تحريمها عن الاصحاب في شرح
المهذب في كتاب الحج لم يعرض له الرافعي ولا اصحاب
الروضه وكثير من الناس يأكلونها وهو حرام نعم يجوز اكل
بيضها كما يجوز اكل بيض الدجاج وبيض الغراب والحداة
على الصحيح في جميع ذلك لانه طاهر لا ضرر في اكله وليس
بمستقذر كذا جزم به القمولي في الجواهر والنووي في
شرح المهذب في باب البيع بانه علل جواز بيعه بانه
طاهر منتفع به ومنها السمكة المعروفة بالرعاده
وهي سمكة تحدر الذراع فاذا وقعت في شبكة الصياد
ارتعدت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى تخليصها
ولو امسكها بخشبة او قصبة فعلت كذلك قال المسعودي
وقد ذكرها جالينوس وانها اذا جعلت على راس من به صداع
شديد او شقيقة وهي في حماه هذا الساعة **الفصل**
الثاني في شان المكان الذي تخرج اصل النيل منه وفي
المكان الذي يذهب به وبيان سبب خضرته وفي المقاييس
المجعولة عليه وغير ذلك وقد تقدم انه تخرج من جبل القمر
على ما ذكره الكندي وذكره ايضا المسعودي وصاحب الات
اليم السبعة قال انه تخرج اصله من جبل القمر من عشرة عيون
خمسة تجتمع في بطيحه وخمسة في بطيحة يعني مكانا منبطحا من
الارض ثم تجتمع بعد ذلك وذكر صورة جبل القمر وانه مقوس
وعلى

وعلى راسه بشر اريف هكذا **بسسسسسره** وذكر
المسعودي في مروج الذهب ان الفلاسفة قالوا انه
يجري على وجه الارض تسعماية فرسخ وقيل الف فرسخ في
عامرها وخاربها من عمران وخراب حتى يأتي الى بلاد
السودان من صعيد مصر الى هذا الموضع تصعد المراكب
من فسطاط مصر وعلى امثال من اسوان جبال واحجار يجري النيل
في وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع
فارق بين مواضع سفن الحبشه في النيل وبين سفن المسلمين
ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ثم يأتي الفسطاط
فينقسم خلجانا الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والى اسكندريه
كل يصب الى جهه قال واصل النيل وشعبه من تحت جبل القمر
ومبدا ظهوره من اثني عشر عينا وجبل القمر خلف خط الاستوا يعني
الذي يستوي فيه الليل والنهار واضيف الى القمر لانه يظهر
تاثيره فيه عند زيادته ونقصانه بسبب النور والظلمه
والبدو والمحاق قال المسعودي فتنصب تلك المياه الجارية
من الاثني عشر عينا من النيل الى بحيرتين هناك ومعنى كلام
صاحب الاقاليم في بطيحه قال ثم تجتمع المياه جاريا فيمر
برمال هناك وجبال ثم يخترق ارض السودان مما يلي بلاد
الفرج فينبع منه خليج يجري الى بحر الزنج وهو جزيره قليلو
جزيره عامرة فيها قوم من المسلمين الان لغتهم زنجيه علوا

على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج فغلبت المسلمين
على الجزيرة وهي جزيرة افريطش في البحر الرومي وذلك في مبدا
الدولة الامويه ومنها الى عمان في البحر من نحو خمسماية
فرسخ على ما يقوله البحريون وذكر جماعة انهم يشاهدون
في هذا البحر في الوقت الذي يذكر فيه زيادة النيل عصرا وقبل ذلك
بقليل ما يخرق هذا البحر ويشق قطعة منه من شدة جريانه
وتخرج من جبال الزنج عرضه الكثير من مثل مكدد في اوان الزياده
بمصر وصعيدها قال وذكر الحافظ ان نهر السند من نيل مصر
واستدل على ذلك بوجود التماسيح فيه قال المسعودي وكان
احمد بن طولون في سنة نيف وستين ومايتين بلغه ان رجلا
يا على بمصر من الصعيد له ثلاثون ومايه سنه من الانباط ممن
يشار اليه بالعلم وانه علامة عصره وارضها من برها وبحرها
واجنادها واجناد ملوكها وانه ممن سافر الارض وتوسط
الممالك وشاهد الامم من انواع البيضان والسودان وانه
ذو معرفة بانواع هيات الافلاك واحكامها فبعث اليه
احمد واخلى له نفسه في ليالي وايام كثيره يسمع كلامه واتدان
وحكايانه فكان مما ساله عن طول الاحابيش على النيل
ومما لكهم قال لقيت من ملوكهم ستين ملكا في ممالك مختلفه كل منهم
ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حاره يابسه قال فلما
منتهى النيل في اعلاه قال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو
الارض التي الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر والى تحت
الموضع

الموضع التي تسميه المجمون الفلك المستقيم وما ذكرته فمعروف
غير منكور انتهى كلامه **وقال** ابن زولاق في تاريخه ذكر عن
بعض خلفا مصر انه امر قوما بالمسير الى حيث يجري الليل
فساروا حتى انتهوا الى جبل قالوا والماء ينزل من اعلاه له دوي
وهدير لا يكاد يسمع احدهم كلام صاحبه ثم ان احدهم تسبب في
الصعود الى اعلا الجبل لينظر ما وراء ذلك فلما وصل الى اعلاه رفض
وصفق وضحك ثم مضى في الجبل ولم يعد ولم تعلم اصحابه ما شانه
ثم ان رجلا منهم صعد لينظر صاحبه ففعل مثل الاول فقطع ثالث
وقال لاصحابه اربطوا في وسطي حبلا فاذا انا وصلت الى
ما وصلا اليه ثم فعلت كما فعلا فاجذبوني حتى لا ابرح مكاني
ففعلوا ذلك فلما وصل الى اعلى الجبل وفعل كفعلهما فجذبوه اليهم
فقيل انه خرس فلم يرد جوابا ومات من ساعته فرجع القوم
ولم يعلموا غير ذلك **فصل** في كوره سبوط وجبل ابي فايده
الذي على النيل قال الكندي وعلى نهر الليل كوره سبوط ذكر انه
صور للرشيد صوره الدنيا فما العجب منها غير كوره سبوط مساحة
ثلاثين الف فدان في دشت واحد لو قطرت قطره فاضت على
جميع جوانبه يزرع فيه الكتان والقمح والقرط وسايراصناف
الغلات فلا يكون على بساط الارض بساط اعجب منه وبسايره من
جوانبه المغرب جبل ابيض على صوره الطيلسان كانه قوز وتحت

وجه

من جانبه الشرقي النيل كانه جدول فضه لا يسمع فيه الكلام من كثرة
اصوات الطير **فصل** في الاهرام قال ابن زولاق اذا هرم ميس
الاكبر وانه بنوا الهرمين وابهما جعلا عرض حايطها ثلثمايه
ذراع بذراعهم قال وكانت الصابيه تحج للاهرام ولما اتى
الطوفان لم يهدمهما شيا ولكن رد من تلك الهما فقيل ان هذا الذي
بقي منهم هو بعض ما دفن وكانت الصابيه تطوف بهما ويقولون
يا ابا الهول اليك قد حججنا قال وسعة الهرم من اربعمايه ذراع
في ارتفاع مثلها احدهما قبر هرمس والاخر قبر تلميذه اعاد ثيون
وكانا في سالف الدهر مستورين بالديباج قال المسعودي وسال
احمد بن طولون ذلك السبع عن بنا الاهرام فقال انها قبور الملوك
كان الملك منهم اذا مات وضع في حوض حجارة واطبق عليه ثم يبنى له من
الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع
وسط الهرم ثم يقطر على البنيان والاقبا ثم يرفعون الماء هذا
المقدار الذي تزوونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم تحفر الطريق
في الارض ويعقد ازج ويكون طول الازج تحت الارض مايه ذراع
واكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت
قيل له فكيف نبيت هذه الاهرام المملسه وعلى اي شي كانوا
يصعدون ويبنون وعلى اي شي كانوا يحملون هذه الحجارة العظيم
التي لا يقدر اهل زماننا هذا ان يحركوا الحجر الواحد منها الا بجهد بل ولا
يقدرون على ذلك **فقال** كان القوم يبنون الهرم بدرج ذا
مرا في كالمدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى اسفل المده كما

حيلتهم وكانوا مع هذا لهم قوة وصبر وطاعة للملوكهم
وثابته فقيل له ما بال هذه الكتابة التي على الاهرام
والبوابي لا تقرا قال دثر الحكما واهل العصر الذين كان هذا قلمهم
وتداول ارض مصر الامم فغلب على اهلها القلم الرومي وذهبت عنهم
كتابة ابايهم وان من تلك الكتابة انا بنيناها فمن يدعى موازرتنا
في الملك او بلوغنا في القدر وانهانا من الملك والسلطان فليهدمها
وليزل رسمها فان الهدم ايسر من البنا والتفريق ايسر من التاليف وقد
ذكر ان بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فان خراج مصر وغيرها
من الارض لا يوفي بقلعها وبنى من الحجر والرخام قال المسعودي
وساله عن مدينة العقاب فقال هي غربي اهرام بوصير الجيزه وهي
على خمسة ايام مما يليها للراكب المجد وقد عورطت بقهما وعمي وذكر ما فيها
من عجايب البنيان والجواهر والاموال وساله عن النوبه وارضها
فقال هم اصحاب ابل وبخت وبقر وغنم والاغلب من كريعوامهم
البراذين وربيهم بالنيل عن قتي عربيه وعنهم اخذ الزنج ابل الحجاز
واليمن وغيرهم العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم
النخل والكروم والذره والموز والخيطه وارضهم كلها جزا من ارض
اليمن والنوبة اتوح كالبر ما يكون بارض الاسلام وملوكهم من عمرانها
من حمير وملكهم يستولي على معدي ونوبه وواحد علوه امة عظيمة من
السودان تدعى بكنه وهم عراة كالزنج وارضهم تنبت الذهب
وفي مملكة هذه الامة يغترق النيل فتشعب منه خليج عظيم ثم يجتمع
الخليج من بعد انفصاله عن النيل ويجتمع الاكثر الى ارض النوبه فاذا

بلاد

الألوكة
www.alukah.net

فاذا كان في بعض الارض انفصل الاكثر من الماء في ذلك الخليج
وابيض الاكثر واخضر الاقل فيشق ذلك الخليج فاودية وخلجان
واعمان ما يوسه حتى يخرج الى بلاد الحابس والحبوب وذلك ساحل
الزنج ومصبه في بحرهم انتهى كلام المسعودي ومنه يؤخذ ان خفض
النيل عند الزيادة تكون من خفض ذلك الخليج لانه متصل به وسمعت
بعضهم يذكر ان في اعلا النيل بركة تنقطع عن النيل في اوان النقص فتخضر
لطول مكثها فاذا كان اوان الزيادة وزاد الماء صاب فيها في البحر
فيخضر والله اعلم **فصل** واما الخابط الممده بالجانب الشرقي من النيل
ذكر المسعودي انه لما اغرق الله تعالى فرعون وزمعه من الجنود حتى من
بقي بارض مصر من الذراري والنساء والعبيد ان يغزوهم ملوك
الشام والعرب فملكوا عليهم امراة ذات راي وحزم يقال لها
دلوكه فبنت على بلاد مصر حابطا تحيط بجميع البلدان وجعلت عليه
المجاذي والاجراس والرجال متصلة اصواتهم بقرب بعضهم من بعض
واثر هذا الخابط موجود في هذا الوقت وبلوسنه ثمانية وسبعمايه
ويعرف بخابط العجوز قاله المسعودي وقيل انما بنته خوفا على
ولدها كان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال
من جاورهم من الملوك واهل الاهواء فحوط الخابط من
النواحي وغيرها وقيل غير ذلك فملكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر
البرابي والصور واحكمت الات السحر وغير ذلك **فصل**
في المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه قال
المسعودي رحمه الله سمعت جماعة من اهل الخبرة يخبرون ان يوسف
النبي

النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهرام اتخذ مقياسا لمعرفة
زيادة النيل ونقصانه وان ذلك نقص واذ دلوكة العجوز وضعت
مقياسا اخر بافسي صعيد الذراع ووضعت مقياسا اخر
ايضا بالصعيد بلاد اخميم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء
الاسلام ثم ورد الاسلام فكانوا يعرفون زيادة النيل ونقصانه
بما ذكرنا الى ان ولي عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا على لوان
وهو صعيد الذراع ثم اتخذ اسامة بن زيد التنوخي مقياسا
بالجزيرة وهي التي بين الفسطاط والجيزة وهذا المقياس الذي اتخذه
اسامة البرها ذراعا واتخذ ذلك في ايام سليمان بن عبد الملك وهو
المقياس الذي عليه العمل في وقتنا ومسافة ذراعه الى ان يبلغ اثني عشر
ذراعا ثمانية عشر ذراعا وعشرون اصبعا ومن اثني عشر ذراعا
الى ما فوق يصير الذراع اربعة وعشرين وفي هذه الجزيرة مقياس
اخر لاحمد بن طولون والعمل عليه عند كثرة الماء وتزايد الرياح واتصالا
مهابها وكثرة الموج **فصل** في زيادة النيل قال المسعودي
قالت العرب في النيل انه اذا زاد غاضت له البحار اي نقصت قال
الله تعالى وغيض الماء اي نقص وذهب وقال تعالى وما تغيض الارحام
وما تزداد وغاضت له العيون والابار واذا غاض لم يزد
هي فزيادتها من غيضه وغيضه من زيادتها وقالت اهل الهند
زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نقول ذلك تتوالى الانواء وكثرة
الامطار وركوب السحاب وقال الروم لم يزد قط ولا ينقص وانما

الألوكة
www.alukah.net

وانما زيادته بزيح الشمال اذا كثرت واتصلت وقال القبط
زيادته من عيون في شاطيه يراها من سافر ولحق بأعاليه وقد
تقدم عن ابي قبيل ان نيل مصر في زيادته يفور كالمزاولة الى اخر
وحكى لي بعض من اقام بالحبش ان الغمام والمطر يستمران عندهم
في ايام زيادة النيل ليلا ونهارا في اعلا النيل وان في بعض السنين
يكثر المطر جدا وفي بعضها يقل فيعرفون كثرة النيل بمصر وقلته
بسبب ذلك **فصل** في المكان الذي يذهب فيه ما النيل قال
الحكما انه يجري اذا صب في بحر الملح انهى فيه الى مواضع ثم يرتفع
بخارا ويجتمع في الجو فتحمله الغمام والريح الى الاماكن التي يريد الله تعالى بالمطر
فيها من سايرا البلاد ولهذا تجد الاماكن القريبة من البحر اكثر مطرا
من غيرها ويشاهد الغمام قريبا من بحر الملح عند دمياط وغيرها مما
جاور البحر قالوا واذا وقع المطر في البلاد اتصل بالبحر من عيون
وغيرها حتى ينتهي الى البحر ايضا ثم يصير مطرا كما سبق وهذا قد
اشار اليه الزمخشري في قوله تعالى والسما ذات الرجع والمراد
بالسما الغمام والرجع المطر قال سمي رجعا على عادة العرب في تعظيم
ان الغمام تحمل ما المطر من البحر ثم يرجع اليها فهو رجع الى الارض
بعد ما اخذ منها من بعد مرة اخرى وذكر الواحدي انها انما سميت
رجعا لانها ترجع الى الارض من بعد اخرى وما ذكره الحكما وجهوه
بان كل ما على الارض من خشب وحجر وغاس ورصاص وجوان
يصير ترابا ثم يعود خلقا جديدا وملكذا الى يوم القيمة قالوا
والفلك دوار وذكر المفسرون في قوله تعالى وارسلنا الرياح
لواقح

لواقح فاتر لنا من السما ما فاسقيناكموه ان الله تعالى يرسل
الرياح فتلقح السحاب بالما كما يلقح الفحل الناقة اللذين قال اللغويون
واللواقح من الرياح التي تحمل الندا ثم تمجه في السحاب فاذا اجتمع
في السحاب صار مطرا وقيل انما هي ملاقح واما قوله لم لواقح فعلى حد
الزايد قال ابن الجني قياسه وارسلنا الرياح لواقح ملاقح لان
الريح يلقح السحاب وقد تجوز على معنى لتحمل حتى فاذا التقت
تركت العجم السحاب فيكون هذا مما اكتفى فيه بالسبب عن المسبب قال
اهل اللغة والريح العقيم التي لا ما فيها سميت عقيما لانها لا تلقح ولا
تنتج كالرجل العقيم والمراة العقيمة ويجوز ان يكون الريح تحمل الغمام
الذي يجتمع في الجو من البحر الملح الى الغمام فيلقحها به ويدل لذلك انك
تجد ما المطر في الغالب فيه ملوحة وانما ملح من مجاورته البحر على
ما سبق وقد تشاهد البخار في زمن البرد تعلو من البحر الى الجو
وتترا كم حتى تصير في راي العين كالسحاب فتجري بالريح فيجوز ان
يكون بعض ما يشاهد من السحاب مطر كله وان الله تعالى يسوقه
الى حيث يشا ويجوز ان يكون المطر ينزل من السما كما ينزل منها البرد
قال تعالى وينزل من السما من جبال فيها من برد كما في الارض جبال من
حجر قال ابو الفرج بن الجوزي والبرد يقع قطعا كبارا وقطعا
صغارا قال ووقعت في بعض السنين بردة عظيمة فامتلا لها
اقليم مصر فاذا هي قال الكواشي في تقسيم من الاولى لابتدا الغاية
في قوله تعالى من السما لابتدا الغاية والثانية للتبعيض والثالثة
لبيان الجنس انتهى ويجوز ان يكون المطر ينزل من البحر المرتفع بين
السما والارض ويقال انه دايما يجري قبل ولولا هو لاحترقت

الارض تحمي السماء وذكر بعض الشيوخ فيه حكاية عجيبة
فقال ان بعض الملوك ارسل بازا اشهبا خطف طائرا
فصعد الى الجو وجاء بعد ساعة وفي رجله سمكة فجمع الملك
علماء مملكته واستفتاهم عن هذه السمكة وانه هل يجوز اكلها
فافتوه كلهم بجواز اكلها وكان هناك شاب مشتغل بالعلم
وكان ابوه تاجرا ينفق عليه فضجر منه فتركه بلا نفقة فهاجر
الشاب الى طلب العلم فاقام يطلبه سنين ثم قفل فوجد
الملك والعلماء مجتمعين والملك يستفتيهم في السمكة فلما افتوه
جميعا بجواز اكلها قام الشاب من بينهم وقال يا ملك هذه
السمكة حرام لا يجوز اكلها فقال ولم فقال لا اقول حتى تجعل
لي جعلا فجعل له عشرة الاف دينار فقال اعطوني لاني منها
الغى دينارا فاعطوه الغين فبعث بها الى ابيه وقال قولوا
ان ابنك سافر وجاء ببضاعة فباع منها بالغى دينار وهي
الى الان لم تنفق ثم قال للملك ان بين السماء والارض بحرا
لا ينالها الا البازات الشهب وروي فيه حديثا وان سمكة
سمر قاتل وانت لما ارسلت البازي وقع منه الطائر
خطف هذه السمكة من البحر فانظر شخصا يكون قد استحق
القتل فاطعمه منها فاحضر رجلا قد استحق القتل فاطعموه
منها فمات من ساعته فاكمل له الملك العشرة الاف
واكرمه وعظمه ومما يذكر ويلوى مشهورا ان المطر ربما

امطرت

امطرت الضفادع في بعض السنين فيحتمل ان تكون هذه الضفادع
من ذلك البحر ويحتمل صحة ما ذكر بعضهم ان الغمام يغترف الماء من
البحر واذا اغترفه اغترف معه الضفادع والعلم عند الله تعالى
ومما يذكر وهو الصحيح ان الماء في اعلا الصعيد يكون احلى منه في
اخر الليل بيما الذي يقرب من البحر الملح ولما ولي القاضي فخر
الدين بن مسكين قضا فوص من الصعيد وكان قبل قاضيا بابيار
انشد ابيانا منها والله لولا العار ما اخترت غير ابيار
ولكن الصعيد اعلى وماوها احلى والادنى فشار
ومن المشاهد ايضا ان ماء بعض الامطار احلى من بعض على نيل
فصل تقدم في الحديث ذكر الانهار الاربعة وتقدم الكلام في ان
مصر واما الانهار الثلاثة فذكر المسعودي انها جيحون وسيحون
والفراة قال فاما جيحون فهو نهر شلج فانه يخرج من اعين
فيجري حتى يأتي بلاد خوارزم وقد لجاز قبل ذلك بلاد الترمذ
واسفرايين وغيرها من بلاد خراسان فاذا ورد الى خوارزم
تفرق في مواضع هناك ومضى باقيه فينصب في البحيرة التي
عليها القرية المعروفة بالجرجانية اسفل خوارزم ليس في ذلك
السقع اكبر من هذه البحيرة ويقال انه ليس في الارض بحيرة
اكبر منها الا ان طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض تجري فيه

السفن الي هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة
الحديثة فيها مسلمون والاغلب من الترك ولما يجاوز
نهر الهند فصيدان من جبال في اقاصي الهند مما يلي بلاد
الصين من نحو بلاد الغز من الترك ومقدار جريانه الى ان يصب
في البحر الحبشي مما يلي ساحل البحر الهند اربعماية فرسخ قال
واما الفرات من بلاد قالي قلا من ثغور ارمينية من جبال
هناك تدعى ابو حسن على نحو يوم قالي قلا ومقدار جريانه في ارض
الروم الى ان ياتي بلاد ملطية ويكون مقدار جريانه على وجه
الارض نحو خمسماية فرسخ وقيل اكثر من ذلك وكان الفرات الاكبر
من مايه ينتهي الى بلاد الحيرة ونهر نرس الى هذا الوقت ومن يعرف
بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهي وقعة القادسية
تصب في البحر الحبشي وكان البحر يومئذ في الموضع المعروف بالنجف
في هذا الوقت وكان يقدم هناك سفن الصين والهند ترد الى
ملوك الحيرة وقد ذكر جماعة ان خالد بن الوليد النجدي وهي لما افتتح
يوميذ الحيرة في سلطانا ابو بكر من بعد فتح اليمامة وقتل كذاب
بني حنيفة ورأوه اهل الحيرة فتخصوا منه في القصر الابيض وقصر
القادسية وقصر بني نفيل وهذه الاسما لقصور كانت بالحيرة وهي
الان خراب لا انس فيها وبينها وبين الكوفة ثلاثة اميال فلما
نظر خالد بن الوليد الى اهل الحيرة وقد تخصوا منه امر العسكر فنزل
نحو النجف واقبل خالد على فرسه ومعه ضرار بن الازور الاسدي وكان
من

من فوارس العرب فوقفا تحيال قصر بني نفيلة فجعل العباد يرمون
يرمونها بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار اصلحك
الله ليستطير مكيدة اعظم مما ترى فمضى خالد فنزل في معسكره
وبعث اليهم ان يرسلوا له رجلا من عقلائهم وذوي اسنانهم
يسأله عن امرهم فبعثوا اليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان
ابن نفيلة الغساني وهو الذي بنى القصر الابيض فاتى خالد وله
يوميذ ثلاثماية وخمسون سنة فاقبل يمشي فنظر اليه خالد مقبلا
فقال من ابن اقصى اثرك ايها الشيخ قال من صلب ابي قال فمن اين
جيء قال من بطن امي قال فعلام انت وعلى قال على الارض
قال فيم انت لا كنت قال في ثيابي قال انك لعاقل قال اي
والله واقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال اللهم
اخزهم من اهل بلدة فما يريد ونبا الاعمى اسالك عن الشيء فيجيب عن
غيره قال لا والله لا اجيبك الا عما سالتني قال اعرب انتم ام
نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال احرب
انتم ام سلم قال بل سلم قال فما لهذه الحصون قال بنيناها
للسفيه نحبسه حتى ياتي الحليم فننهاه قال كم اتى لك قال
خمسون وثلاثماية سنة قال فما ادركت سفر البحر ترى الينا
في هذا اللجف يا شعة السند والهند وامواج البحر تضرب

ما تحت قدميك وانظر كم بينها البوم وبين المحروث وابيت
المراة تاخذ مكتلها تضعه على راسها لا تزود الا عيفا
واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة وعمائر متصلة واشجار
مثمرة وانهار جاريه وانهار غرقه حتى ترد الشام وتراها
اليوم قد اصبحت خرابا بابا وذلك صنع الله تعالى في البلاد
والعباد فوجم خالد ومن حضره لما سمعوا منه وعرفوه وكان
مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل قال ومعه
سم ساعة يغلبه في يده فقال له خالد ما هذا معك قال سم ساعة
قال وما تصنع به قال اتبتلك فان لم يكن عندك ما يسرني ويوافق لك
بلدي قبلته وحملت الله تعالى عليه وان تكن الاخرى الكرى اول من
ساق الى اهل بلده حزنا وبلاء اكل هذا العمر واستريح من الدنيا فانما
بقي من عمري الا اليسير قال له خالد هاته فاخذ فوضعه في
راحته ثم قال بسم الله وبالله بسم الله رب الارض والسماء بسم الله
الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء ثم اقتحمه فتخللته
غشيه وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم سري عنه وافاق
كانما نشط من عقال فانصرف العبادي الى قومه وكان عباد
المذهب وهم السطوريه من النصارى فقال يا قوم قد جئتكم
من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه واخرجوه
عنكم فامتثلوا امره وصالحوا خالدا رضي الله عنه على مائة الف
درهم وساح وهو الطيلسان فرحل عنهم قال المسعودي واما
ذكرنا

ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا من ثقل البحار وتغلغل الجليد
والانهار على مرور الدهور والاعصار قال واما الدجلة فانها تخرج
من بلاد الدم ديار بكر وهي اعني بلاد خالد بن الوليد رضي الله عنه وتصب
اليها انهار سويط وسابيد وما تخرج من بلاد اردن وما فارقني
ومنيرد وغيرها من الانهار واذا خرجت الدجلة من نهر واسط تفرقت
على وجه الارض ثلثمائة فرسخ وقيل اربعمائة هذا كلام المسعودي
وقد التبس على الامر فقسر نهر سيحون سيحان وجيحون جيحان وقد
اوضح ذلك النووي في شرح مسلم فقال قوله صلى الله عليه وسلم
سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة اعلم ان سيحان
وجيحان نهر سيحون وجيحون واما سيحان وجيحان المذكوران
في هذا الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما من بلاد الارمن فسيحان
نهر المصيصة وسيحان نهر اذنة وهما نهران عظيمان جدا اكبر هما
جيحان فهذا هو الصواب في وضعهما واما قول الجوهري في صحاحه
نهر سيحان نهر بالشام فغلط او انه اراد المجاز من حيث انه ببلاد
الارمن وهي مجاورة الشام قال الجاربردي سيحان نهر عند المصيصة
قال وهو غير سيحون وقال صاحب نهاية الغريب سيحان وجيحان
نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس واتفقوا كلهم على ان جيحون
بالواو نهر ورد بخراسان عند بلخ واتفقوا انه غير جيحان وكذلك
سيحون غير سيحان واما قول القاضي عياض ان النيل بمصر والفرات
بالعراق وسيحان وجيحان وبقال سيحون وجيحون بلاد خراسان
فهي كلامه انكار من اوجه احدها قوله الفرات بالعراق وليست

الألوكة
www.alukah.net

سيحان
العراق بل هي فاصلة بين الشام والجزيرة والثاني قوله كذلك
وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الاسماء مترادفة وليس
بل سيحان غير سيحون وجيحان غير جيحون باتفاق الناس الثالث
قوله انه ببلاد خراسان واما سيحان وجيحان فببلاد الارمن بقرب
الشام والله اعلم فصل في الفرق بين البحر والنهر قال الازهري
في التهذيب سمي البحر بحرا لاستبحاره وبلوغه اساطه وسعته وقيل
لانه يشق في الارض شقا وجعل ذلك الشق لمائه قرارا وقال
في الصحاح سمي بحرا لعمقه واتساعه ويقال استبحر في العلم
وتبحر في المال اذا كثر ماله والبحر الشق في كلام العرب ومنه قيل
للناقة التي كانوا يشقون اذنها بحيرة قال الزجاج كل نهر
ذي ماء فهو نهر بحر قال بعضهم بشرط ان يكون جاريا كدجلة
والفرات والنيل وشبهها من الانهار الكبار فهو بحر واما البحر
الكبير الذي هو مفيض للمياه فلا يكون ماؤه الا ملحا اجاجا ولا يكون
ماؤه الا راكدا واما الانهار فمياهها جارية ويقال للبحر الصغير
بحيرة واما بحيرة طبريه فانه عظيم نحو عشرة لميال في ستة
ويقع البحر على الرجل الكثير المعروف وفرس بحر جواد كثير العدو
على التشبيه بالبحر والبحر الريف وبه فسر ابو علي ظهر الفساد
في البر والبحر الآن الذي هو الما لا يظهر فيه صلاح ولا فساد
واما البحر المسجور الموقد لانه يروى ان الله تعالى يجعل البحار كلها
نارا فترد في جهنم قال الله تعالى واذا البحار سجرت واما نهر

الحيوان

الحيوان فهو نهر في السما الرابعة روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور في السما الدنيا وفي السما
الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم عند طلوع الشمس فاذا
خرج انتفض انتفاضة خرت منه سبعون الف قطرة خلق الله عز وجل من
كل قطرة ملكا يومرون ان ياتوا البيت المعمور يصلون فيه فيفعلون ثم لا
يعودون اليه ابدا ذكره الواحدي في تفسيره فايدة المياه التي
تنزل من السما ثلاثة ما الثلج وما المطر وما البرد والثلج غير
الجمد فاعلمه فانه يلتبس على كثير من الناس ولا يفرقون بين الثلج والجمد
والفرق بينهما ان الجمد يكون ما مستقرا بالارض ثم يجمد من شدة البرد
واما الثلج فهو ندا وة تنزل من السما وتجمد على ما يقع عليه من الارض
وقد ذكر القاضي مسئلة يفارق الثلج فيها حكم الجمد فقال اذا اخذ
قطعة جمد فوجد فيها بعرة من داخلها نظر ان يكون الما الذي جمد
وفيه هذه البعرة قلتين او اكثر وقلنا لا يجب التباعد عن النجاسة
بقدر قلتين فان كانت البعرة تلقى وما حولها فالبا في طاهر طهور
وان كان الما الذي جمد وفيه البعرة دون قلتين فمجمع الجمد نجس قال
وان وجدت البعرة بقطعة ثلج الثبت وما حولها فالبا في طاهر
ووجه ما قاله في الثلج ان الثلج اذا نزل على البعرة جمد عليها وجمده
يمنع سريان نجاستها الى غير المجاور لها كالقارورة تموت في السمن الجامد
فرع يخرج على هذا الاصل الما الذي يعقد جوهره ملحا والما
الذي يعقد نظرونا الصحيح انه طهور يجوز الطهارة به قبل انعقاده
اذ الاديب بما طهور فعلى هذا الوجه هذا الماء الذي

طاهر
انعقد منه بعرة ففيه التفصيل السابق في الحمد فانه قلنا انه
لا طهور فجميعه نجس لانه له حكم المائع والمائع لو امتد قللا
ووقعت فيه نجاسة تنجس كله فصل واما الماء الذي ينبع من
الارض فهو ستة ماء الابار وماء الانهار وماء العيون وماء البحر
والماء الذي ينعقد ملحا والماء الذي ينعقد نطرونا والماء المتقاطر
من بخار الماء وماء الابار منها ماء موحد بدي ومنها ما هو
نجاسي يتكلم عليها الاطباء فحاصله ان المياه النازلة من السما
والنابعة من الارض عشرة وكلها يجوز بها الطهارة بلا خلاف
الا الماء الذي ينعقد ملحا او نطرونا فانه في الخلاف والمذهب
جواز الطهارة به والا الماء المتقاطر من بخار الماء فانه فيه وجهان
الاصح جواز الطهارة به واذا انضم الى هذا الماء النابع من اصابعه
صلى الله عليه وسلم صارت احد عشر واختلفوا في المياه التي في
الارض هل اصلها من السما ام خلقها الله تعالى من الارض على قولين
احدهما ان الجميع من السما لقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما
ما فسلكه ينابيع في الارض والثاني ان الله خلقه في الارض كما
خلق ما السما فيها لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها
ماها ومرعاها وبعدها بمعنى قبل ذلك دحاها اذ كانت
الارض مخلوقة قبل السما وقد اخبر الله تعالى انه اخرج منها
ماها ومرعاها فتعين ان يكون الما مخلوقا فيها ومما يدل
على ان الارض مخلوقة قبل السما قوله تعالى قل اينكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب
العالمين

العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام سوا للسايلين ثم قال تعالى ثم استوى
الى السما وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طايعين فقضاهن سبع سموات في يومين وثم للترتيب
وقال بعضهم خلق الله تعالى الارض اولا ثم خلق السما ثم دحى
الارض بعد ان خلق السما وقبل خلق الله تعالى لزبدة خمر الغلظ
السموات والارض ثم نظر اليها نظرة الغضبة فاذا عت فصارت
ما فمن ثم ترى الماد ايما يتحرك من تلك الهيبة ثم ان الله تعالى
رفع من البحر بخارا وهو الدخان الذي ذكره في قوله ثم استوى الى
السما وهي دخان فخلق السما من الدخان وخلق الارض من الما والجبال
من موج الما فصل الاكراهة في استعمال شيء من المياه عندنا
في الطهارة وغيرها الا في ستة احدها الما المشمس ثانيها وثالثها
الما الشديد الحرارة وشديد البرودة ورابعها ما د يارثمود
يكره استعمالها الا بعد الناقة لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه
وامر بان تكفا القدور ويطرح العجين الذي عجن منه وديار ثمود
في طريق الشام من مكة قال الله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل خامسها ما قوم لوط روي ان جبريل عليه السلام اذ دخل جناحه
تحت مدائنهم فاقتلعها من الارض ورفعها بجناحه الى السما ثم
قلبها بهم فاتبعوا بالحجارة قال الله تعالى فلما جا امرنا جعلنا عاليها
سافلها وامطرنا عليهم حجارة قيل كان مكتوب على كل حجر اسم صاحبه
وكان شخص منهم بالحرم فوقف حجر بين السما والارض حتى خرج من

الألوكة
www.alukah.net

الحرم فوقع عليه فمات ولما خسف بقراهم بقي موضعها بركة
عظيمة ماؤها منتن وهي باقية الى هذا اليوم في طريق
الشام قال عز وجل وانها لبسبيل مقيم يعني طريق تسلكها
بئر برهوت روي انه صلى الله عليه وسلم قال خير بير في
الارض بير زمزم وشر بير في الارض بير برهوت فيها
ارواح الكفار فاذا كانت هذه شر بير في الارض كره
استعمالها وبالقياس على ديار ثمود ولوط عليهم السلام لان
ارواح الكفار تعذب حيث كانت وانما تعذب للعقاب عليهم
فالتحق بمكان تعذيب ارواحهم مكان تعذيب اجسادهم
وبرهوت بفتح الباء الموحدة والراء المهملة وبالتاء المثناة
فوق في آخره بير بحضرموت وقد ذكرها في الصحاح وذكر
الحديث الا انه لم يعين مكانها واختلفوا في استعمال ماء زمزم
فمذهبنا انه لا يكره استعماله في شئ من الطهارات كسائر المياه
لانه صلى الله عليه وسلم توضأ منه لكن قال ابو الفتوح العجلي
في نكت الوسيط والوجيز الاولى ان لا يتطهر به لحرمته
وكرامته وقد روي عن العباس رضي الله عنه انه قال لا احله
لمغتسل وهو لشارب حل وبل والبل بكسر الباء الموحدة وباللام
الشفاء اي هو حلال وشفاء للشارب بل من مرض اذا اشتفى
وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا شرب ماء زمزم قال

اللهم

اللهم اني اسالك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء
وقال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له طعام طعم وشفاء
سقم واما استعماله في ازالة النجاسة والاستنجاء فقل في
الكفاية عن الماوردي انه لا يجوز استعماله ولا استعمال
حجارة الحرم في الاستنجاء والصحيح خلاف ذلك وذهب ابو حنيفة
الى انه لا يجوز استعماله في الطهارة مطلقا لنا عموم الادلة
وان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منه ولانه يودي الى جواز
التيمم مع وجود الماء ولان حرمة ماء زمزم ان كانت لاجل
انه نبع من الحرم فينبغي ان لا يجوز استعمال مياه ابار الحرم وان
كانت حرمته لكونه طعام وشفاء فالماء الذي نبع من اصابع
النبي صلى الله عليه وسلم افضل من ماء زمزم وفيه من الشفاء ما
ليس في ماء زمزم ومع ذلك فقد توضأت به الصحابة رضي الله
تعالى عنهم ولا حجة في قول العباس رضي الله عنه لا احله لانه محمول
على حالة لحتياج الناس الى الشرب بقوله لا احله لمغتسل
اي في حالة الاحتياج الى الشرب لان الغالب التزاحم على الشرب
واختلفوا في الماء الذي يوجد وقت السحر على الزرع فقيل
لا يجوز به الطهارة لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس دابة
في البحر تنفس وقت السحر فهو ليس من جنس المياه بل هو ملحق بالروث
حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية ويشهد لهذا القول

الألوكة
www.alukah.net

وعلمت
ان البحر بين ذكروا ان هذا الماء اذا جمع في وقت البحر
منه بيضة قد فرغ ما فيها وضمت بشمعة وغيرها ووضعت
في الحمام فاذا احميت باكرارة صعدت الى السما بنفسها
فهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض
ويشهد له ايضا ان هذا ليس بما الملح ولا برد ولا مطر والله
اعلم قال صاحب الملتقطات ومنهم من جوز الطهارة به
لانه ماء ولانه لم يتحقق مجيئه من نفس تلك الدابة واما بحر
الملح فيجوز منه الطهارة بلا كراهة لقوله صلى الله عليه وسلم
هو الطهور ماؤه الحل ميتته هذا مذهبنا ونقل البغوي
في شرح السنة عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو وانهما
قالا لا تجوز الطهارة بما البحر لانه غطا جهنم وقال ذلك ايضا
الدارمي في الاستذكار عنهما وعن سعيد بن المسيب لا تجوز
الوضوء بما البحر قال وعن قوم انهم قدموا التيمم عليه وخيروا
بينهما وعن قوم انه ينتوضا به عند عدم غيره ومما يدل على
ان البحر غطا جهنم قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا الآية فانها
تدل على الفورية فاقتضى ذلك ان دخول النار استعقب
الغرق وقوله صلى الله عليه وسلم ان تحت البحر نارا وان تحت
النار بحرا الحديث وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الحبيب
الامين وعلى اله وصحبه اجمعين تم الكتاب والحمد لله المتعال

شبكة الألوكة